أهدت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ طيرين بين رغيفين ، فقال النبي ﷺ : اللهم إئتني بأحب خلقك اليك وإلى رسولك ، فأتى علي فضرب الباب فقال له أنس ان رسول الله ﷺ على حاجة . ثم ضرب الباب ، وقال له مثل ذلك ، ثم ضرب الباب ورفع صوته ، فقال رسول الله ﷺ : يا انس افتح الباب . فلما رآه ﷺ تبسم ثم قال « الحمد لله الذي جعلك فاني أدعو في كل لقمة أن يأتيني بأحب الخلق اليه واليّ فكنت أنت » فقال : والذي بعثك بالحق اني لأضرب ثلاث مرات ويردني أنس . فقال رسول الله ﷺ « لا يلام الرجل على حب قومه » .

وكان من لطف الله به وارادته الخير له أن قريشاً أصابتها أزمة شديدة ، وكان أبو طالب كثير العيال فأراد أهله أن يخففوا عنه فكلموه ، فقال : إذا تركتم لي عقيلاً فاصنعوا ما شئتم ، فأخذ رسول الله علياً ، فلم يزل معه في حجره .

ولما اجتمعت قريش في دار الندوة ، ومعهم ابليس في صورة شيخ نجدي أجمع رأيهم على قتله ﷺ ، فأمر علياً فنام مكانه وغطى ببرد أخضر ، فكان أول من شرى نفسه . وفي هذا نزل قوله تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ... الخ » الآية .

وفي ذلك يقول :

وقيت بنفسي خير من وطىء الثرى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحِجْر
رسول الله خاف أن يمكروا به ... فنجّاه ذو الطول الإله من المكر

ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أمره أن يتخلف بعده ليؤدي عنه الودائع والأمانات للناس عنده ، ففعل ما أمره به ، ثم لحق به بعد ثلاثة أيام ، وهو بقباء .

وقد شهد بدراً والمشاهد كلها إلاّ تبوك فان النبي ﷺ استخلفه على